

النشاط الإصلاحى والوطنى للشيخ محمد البشير الإبراهيمى بالغرب الجزائرى خلال الحرب العالمىة
الثانىة: 1939- 1945

The reformist and nationalist activity of Al-ašīh Muḥmad al-bašīr al-ibrāhīmī in Western Algeria during the Second World War: 1939-1945

أ.د مصطفى أوعامرى¹

جامعة أبى بكر بلقايد . تلمسان / الجزائر mo_ouamri@yahoo.fr

تارىخ النشر: 2021/08/08

تارىخ القبول: 2021/07/19

تارىخ الاستلام: 2021/06/25

الملخص:

إن الشيخ البشير الإبراهيمى نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وممثل الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري، ومدير مدرسة دار الحديث، عبر عن موقفه الرفض لتأييد فرنسا في الحرب منذ سبتمبر 1938. وبعد اندلاع الحرب، وفشل الإدارة الاستعمارية في جلب الشيخ البشير الإبراهيمى إلى صفها أمرته بغلق دار الحديث وتوقيف كل نشاط تعليمي بها. كما قررت نفيه إلى مدينة آفلو في 10 أبريل 1940، مع وضعه تحت الإقامة الجبرية. وشنت حملة واسعة من القمع والمضايقات ضد العلماء المصلحين بالغرب الجزائري وبأنحاء الوطن لشل نشاط الحركة الإصلاحية. غير أن نشاط هذه الحركة سيستمر بقيادة الشيخ البشير الإبراهيمى الذي كلفه المجلس الإداري بالرئاسة في ماي 1940. على إثر عمليات الإنزال الأمريكى الأنجليزى بالسواحل الجزائرية. تم الإفراج عن الشيخ البشير الإبراهيمى في 28 ديسمبر 1942، واستأنف بحماس قوى مهمته الإصلاحية والوطنية بمساندة العلماء النشطين بالمنطقة، وهذا ما سنحاول التعرض إليه في هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية: الشيخ محمد البشير الإبراهيمى- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الغرب الجزائري، الحرب العالمية الثانية. دار الحديث.

Abstract:

Sheikh Bashir Al-Ibrahimi, vice-president of the Algerian Muslim Ulama Association, representative of the reformist movement in Western Algeria and director of the Dar Al-Hadith school, expressed his rejection of supporting France in the war since September 1938. After the outbreak of the war and the failure of the colonial administration to bring Sheikh Bashir Al-Ibrahimi to a loyal position, he ordered him to close Dar Al-Hadith and to stop all educational activities within it. He also decided to expel him to the city of Aflou on 10 April 1940, while placing him under house arrest. A broad campaign of repression and harassment

¹ أ.د مصطفى أوعامرى : جامعة تلمسان mo_ouamri@yahoo.fr

was launched against the reformist ulama in Oranie and throughout the country to paralyse the reformist movement. However, the activity of this movement continued under the leadership of Sheikh Mohamed Bashir Al-Ibrahimi, who was assigned by the Board of Directors to the Presidency in May 1940.

Following the Anglo-American landing on the Algerian coast, Sheikh Bashir Al-Ibrahimi was released on 28 December 1942 and enthusiastically resumed his reformist and nationalist mission with the support of the active ulama of the region, and this is what we will try to address in this study.

Keywords: : Sheikh Mohamed Al-Bashir Al-Ibrahimi - Association of Algerian Muslim Ulama, Western Algeria, World War II. Dar El Hadith.

مقدمة:

أحاول في هذه الدراسة تسليط بعض الأضواء على النشاط الإصلاحى والوطني للشيخ البشير الإبراهيمى والحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية ، وكيفية استمراره في ظل حالة الطوارئ والأحكام الاستثنائية وظروف الحرب الصعبة، مع تعطل جرائد العلماء التي كانت المرآة العاكسة لأنشطتهم المتنوعة ولتحركاتهم وانجازاتهم المختلفة، وذلك بالتعرض في البداية إلى موقف الشيخ البشير الإبراهيمى من الحرب ونفيه إلى مدينة أفلو، وانعكاسات ذلك على نشاط العلماء بالغرب الجزائري سواء في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة أوفي عهد حكومة فيشي، ثم استئناف الشيخ البشير الإبراهيمى لمهمته الإصلاحية والوطنية ما بين 1943-1945 بعد إطلاق سراحه في أواخر ديسمبر 1942.

رفض الشيخ البشير الإبراهيمى مساندة فرنسا في الحرب ونفيه إلى أفلو:

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على حد قول أجرون في حالة حرب مع الإدارة الفرنسية منذ مارس 1938⁽¹⁾، وذلك بعد صدور قرار 8 مارس، الذي كان يهدف إلى شل نشاط الجمعية، واعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ويبدو أن هذا القرار كان أحد الأسباب التي جعلت مجلسها الإداري، يرفض إرسال برقية التضامن إلى فرنسا في سبتمبر 1938. بغرض الإعراب عن مساندتها والوقوف معها في الحرب المتوقعة مع عدوتها التقليدية ألمانيا. وقد ترتب على هذا الرفض استقالة الشيخ الطيب العقبي أحد أعضائها البارزين من المجلس الإداري للجمعية في خريف 1938.⁽²⁾

وبعد اندلاع الحرب، فإن مبدأ عدم مساندة المتروبول ظل مستمرا عند قادة الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري، ولدى مختلف الجمعيات التابعة لها. ومن البديهي أن الشيخ البشير الإبراهيمى، ممثل هذه الحركة بهذه المنطقة من الوطن، ونائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يكون قد تعرض لضغوط كثيرة من قبل الإدارة الاستعمارية، ولا شك أنه وجد نفسه في موقف حرج، حينما أقدم نواب وأعيان من تلمسان على توقيع عريضة مساندة في 9 يناير 1940، وإرسالها إلى الحاكم العام. وحسب بعض المصادر الاستعمارية فإنه وقّع معهم على هذه العريضة لكن بصفته مدير مدرسة " دار الحديث " وليس بصفته نائبا لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. إذ قام بزيارة إلى مدينة وهران في نفس الشهر، وفي اجتماع بجمعية الفلاح*، أوصى أتباعه بالتحفظ والحذر.⁽³⁾

ومهما يكن من أمر، فإن الإدارة الاستعمارية لم تكن مقتنعة بذلك التوقيع إن حدث أصلا، لكنها لم تياس من جلب الإبراهيمى وعلماء الجهة الغربية إليها، معلقة الآمال على حركة الشيخ الطيب العقبي - الذي كان مساندا لها،

وله نفوذ بعمالة الجزائر- أن يمتد تأثيرها إلى الجهة الغربية، مع الإشارة إلى أن تأثير العقبي ظل ضعيفا بالقطاع الوهراني، وحتى جريدته الإصلاح كانت تجد صعوبة في التوزيع.⁽⁴⁾

ومع تطور أحداث الحرب وتسارعها، وفشل محاولات الإدارة الفرنسية في جلب الشيخ البشير الإبراهيمى إلى صفها، طلبت منه وبصرامة تحديد موقفه بوضوح، فرفض التعاون معها على غرار موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس . فما كان منها إلا أن أمرته بتوقيف كل نشاط تعليمي بدار الحديث وطرد الطلبة الداخليين بها. ولم تكتف السلطات الفرنسية بتلك الإجراءات التعسفية فقط، بل قررت نفي الشيخ البشير الإبراهيمى- قبل أسبوع من وفاة الشيخ ابن باديس- إلى مدينة أفلو في 10 أبريل 1940، ووضعه تحت الإقامة الجبرية في منطقة منعزلة. وقد سرت إشاعات بعمالة وهران، مفادها أن أسباب نفيه تعود أساسا إلى رفضه للدعوة التي قدمتها له الإدارة، بأخذ الكلمة في راديو الجزائر، للرد على دعاية راديو ألمانيا الموجهة إلى شمال إفريقيا.⁽⁵⁾

وهكذا، وبني الشيخ البشير الإبراهيمى، ووفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، حرمت الجمعية من أبرز قادتها، وحاولت السلطات الاستعمارية استغلال ذلك الفراغ للضغط على بقية أعضائها، وتضييق الخناق عليهم لجلبهم إلى جانبها.

في هذا الإطار، فقد تعرض الكثير منهم بالغرب الجزائري للمضايقات والنفي أو الاعتقال بجنين بورزق، نذكر منهم على سبيل المثال: خليل حاج أحمد بمدينة معسكر، تم اعتقاله ووضع تحت الإقامة الجبرية في الجنوب الوهراني بمعتقل جنين بورزق رغم كبر سنه. بسعيد عبدون المكلف بوظيفة مدرس بهذه المدينة أقيبل من منصبه، سعيد الزموشي أجبر على مغادرة معسكر والعودة إلى قسنطينة. وفي وهران، وعلى الرغم من أن رئيس جمعية الفلاح، قوديج بلزرق استقال من منصبه، فإن ذلك لم يشفع له عند الإدارة الاستعمارية، حيث اعتقل بدوره وأرسل إلى نفس المعتقل، ووضع أيضا محمد إبراهيم ولد محمد الملقب بزور سي الميلود بنفس المعتقل. بالإضافة إلى كازي ثاني من تلمسان⁶ وغيرهم.

وبهذه الحملة من القمع والاضطهاد، التي كانت مسلطة على عناصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالغرب الجزائري وفي كامل أنحاء الوطن، حاولت الإدارة الاستعمارية أن تضرب الحركة الإصلاحية التي رفضت تأييدها في الحرب، وتقضي على نشاطها، غير أن هذه الحركة ستستمر بقيادة الشيخ البشير الإبراهيمى الذي كلفه المجلس الإداري بالرئاسة في ماي 1940.⁽⁷⁾ رغم محاولة الإدارة الاستعمارية منع ذلك.

محاولة استئناف النشاط في عهد حكومة فيشي: صيف 1940- خريف 1942

بعد انهزام فرنسا أمام ألمانيا في جوان 1940، علق العلماء الآمال على حكومة فيشي في تخفيف الضغط الذي كان مسلطا عليهم، وإلغاء الإجراءات التي اتخذت ضدهم في عهد الجمهورية الثالثة، وبالتالي استئناف نشاطهم. وبهذا الصدد تشير تقارير الإدارة الاستعمارية، إلى أن الشيخ البشير الإبراهيمى لمح لأحد أصدقائه، بأنه سيأمل في إطلاق سراحه عن قريب وأنه سيتفرغ لقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كما بعثت الأوساط الإصلاحية بتلمسان رسالة إلى الحاكم العام، طالب فيها بإطلاق سراح البشير الإبراهيمى وفتح مدرسة دار الحديث، وحاولت جمعية الفلاح بوهران - استئناف النشاط التعليمي منذ جوان 1941 من خلال استقدام [الطالب] أعمار البسكري لمزاولة هذا النشاط، لكن السلطات الاستعمارية رفضت الترخيص له بذلك، وأصبح دوره مقتصرًا على وظيفة الإمام⁽⁸⁾.

كما أن العلماء، وأمام المضايقات التي ظلت مستمرة ضدهم، استغلوا خطب الجمعة في تنوير الجزائريين المسلمين، وفي انتقاد الاستعمار؛ ويلاحظ ذلك مثلا في ما كان يجري بدار الحديث أثناء صلاة الجمعة، حيث كان الإمامان رحموني مولاي أحمد وخاصة أبو عياد بن علي ولد حاج أحمد، يفسران الآيات القرآنية بطريقة مغرضة، ويقومان بدعاية مضادة للحكومة الفرنسية. حسب أجهزة الأمن الاستعمارية.⁽⁹⁾

ولإظهار نوع من الليونة تجاه العلماء، قصد استمالتهم إليها، رخصت الإدارة الاستعمارية للبشير الإبراهيمي بزيارة حمام بوحنيقية بغرض الاستشفاء، في الفترة ما بين 28 جوان و 11 جويلية 1941، كما سمح له بعد ذلك بزيارة مدينة سيدي بلعباس لمدة 48 ساعة، وكذلك مدينتي غليزان وتيارت. وكانت هذه مناسبة هامة للالتقاء بأصدقائه وخاصة التلمسانيين الذين زاروه في بوحنيقية.⁽¹⁰⁾ مع الإشارة إلى أن اهتمامات المصلحين ظلت مركزة على إطلاق سراح الشيخ البشير الإبراهيمي، والذي لم تنقطع اتصالاته بعناصر الجمعية في الغرب الجزائري، وبأصدقائه في تلمسان، سواء عن طريق " مسعود براشيثي " - تاجر من أفلو- والذي كان يملك جواز مرور دائم، وينتقل عبر مختلف مدن العمالة،⁽¹¹⁾ أو عن طريق بعض الرخص التي كان يحصل عليها الإبراهيمي نفسه من أجل العلاج في مدينة بوحنيقية وفي مدينة وهران، أو عن طريق بعض الزيارات عنده بأفلو. وحسب الإدارة الاستعمارية فإنه لم يكن مستعدا للمصالحة⁽¹²⁾ والتعاون معها.

إن سياسة اليد الممدودة هذه، التي استهل بها الجنرال " وايقون " Weygand عهده كحاكم عام جديد على الجزائر،* والذي أعلن عن بعض الإصلاحات في 23 أوت 1941⁽¹³⁾ فضلا عن إلغاء بيتان في صيف 1940، لقانون 1904 الذي كان يمنع التعليم الحر في الجمعيات المسيحية. جعلت العلماء يتشجعون، ويحاولون استئناف نشاطهم إذ قدم بعض أعضاء المكتب الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عريضة في هذا الشأن إلى " وايقون " في 19 سبتمبر 1941 ضمنوها جملة من المطالب، ومن بين ما جاء فيها :

1. الإفراج عن الشيخ البشير الإبراهيمي.
2. إطلاق سراح أعضاء الجمعية الذين اعتقلوا في 21 ماي.
3. معاملة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلما تعامل الجمعيات الدينية المسيحية.
4. معاملة أعضاء الجمعية، مثلما يعامل أعضاء الديانة المسيحية، من حيث السماح لهم بحرية التنقل للوعظ والإرشاد، وتعليم أخلاق الإسلام.
5. معاملة القرآن (كتاب الإسلام)، واللغة العربية (لغة الإسلام)، مثلما تعامل كتب ولغات الديانات الأخرى.
6. حرية الوعظ في المساجد.
7. حرية تعليم اللغة العربية تحت مراقبة الإدارة.
8. إلغاء مرسوم 8 مارس.

لقد أمضى هذه العريضة كل من : الشيخ العربي التبسي : الأمين العام ، أحمد معيزة : الأمين العام للصندوق، سهلي سعيد ؛ مساعد أمين الصندوق ، خير الدين ؛ مراقب ، مبارك الميلي؛ عضو مساعد ، بلقاسم الحباني ؛ عضو مساعد ، محمد الطاهر الجيجلي ؛ عضو مساعد.⁽¹⁴⁾ وهكذا، ومن خلال هذه العريضة، نلاحظ بأن العلماء استأنفوا نشاطهم العلني، والذي توقفوا عنه منذ مدة، وبعد مرور أكثر من سنة على وصول بيتان إلى السلطة.

وبهذا الصدد، كان لابد من استشارة رئيس جمعية العلماء، واطلاعه على هذا النشاط. لذلك قام " بوشمال أحمد " من قسنطينة، بزيارة البشير الإبراهيمي في أفلو نهاية أكتوبر، مستغلا فرصة عيد الفطر كذريعة لتلك الزيارة. ولقد وافق الإبراهيمي على تلك العريضة شكلا ومضمونا، لكنه شك في تنفيذ الإدارة لما ورد فيها من مطالب⁽¹⁵⁾. وهكذا كان البشير الإبراهيمي يسير شؤون الجمعية بطريقة سرية رغم المراقبة الصارمة للإدارة الاستعمارية.

الإفراج عن الشيخ البشير الإبراهيمي واستئناف النشاط الإصلاحي والوطني: 1943-1945

بعد تحرير الجزائر من سلطة حكومة فيشي على إثر عمليات الإنزال الأمريكي الأنجلزي بالسواحل الجزائرية (وهران والعاصمة) في 8 نوفمبر 1942، ورغبة منها في استمالة الرأي العام الجزائري المسلم، اتخذت السلطات الاستعمارية إجراءات لصالح المعتقلين السياسيين الجزائريين. وفي هذا الإطار أطلق الجنرال جيرو سراح الشيخ البشير الإبراهيمي في 28 ديسمبر 1942. كما أفرج عن مصّلحين آخرين فيما بعد؛ مثل قباطي محمد بشير (من أولاد زيري، الغزوات)، و " عبد المؤمن حاج الطاهر " من معسكر، وغيرهم...⁽¹⁶⁾

كان لعملية الإفراج عن الشيخ الإبراهيمي ارتياح كبير في الأوساط الإسلامية، كما كانت نقطة انطلاق للحركة الإصلاحية في تكثيف نشاطها بعد الإفراج عن رئيسها، ويلاحظ ذلك في التنقلات العديدة والتحركات المستمرة للشيخ البشير الإبراهيمي عبر المدن الجزائرية في العمالات الثلاث: وهران والجزائر وقسنطينة.

- النشاط الإصلاحي والتعليمي:

بعد وصوله إلى تلمسان عشية 16 يناير 1943، استقبل الشيخ البشير الإبراهيمي بحفاوة كبيرة من طرف أصدقائه وأنصاره وطلّبه. وبعد أداء الصلاة بدار الحديث، استأنف الدروس مخاطبا مستمعيه: " أين وصلنا أمس؟ أمس يعني به 9 أبريل 1940، عشية مغادرته تلمسان إلى أفلو. وفي هذا دلالة واضحة على عزمه وإصراره على الاستمرار في نشاطه.

وهكذا استأنف الإبراهيمي مهمته الإصلاحية والوطنية، من خلال القيام بزيارات تفقدية لمؤسسات الجمعية ومدارسها والاتصال بالمشرفين عليها بغرض إحياء نشاطها، ويلاحظ ذلك في انتقاله في الشهر الموالي إلى مدينتي سيدي بلعباس، وهران، وزيارته نادي النجاح بسيدي بلعباس، و جمعية الفلاح بوهران، حيث اتصل بالمصّلحين هناك وقدم دروسا دينية. ولاستئناف النشاط التعليمي في مدارس الجمعية، وحسب تقارير الاستعلامات الفرنسية. فإن البشير الإبراهيمي انتقل إلى الجزائر العاصمة، وقابل الحاكم العام بهذا الصدد⁽¹⁷⁾ وفي نفس السياق أكمل جولته نحو الشرق الجزائري بزيارته لعمالة قسنطينة قصد الاتصال بالمصّلحين، وبعث نشاط الجمعية هناك وعبر ربوع الجزائر كلها.

بعد أن استأنفت مدارس الجمعية نشاطها التعليمي بصفة تدريجية، عمل الإبراهيمي على توسيع هذا النشاط وفتح مدارس جديدة. ولما كانت هذه العملية تتطلب مبالغ ضخمة، فقد كان الإبراهيمي في تنقلاته المستمرة يلقي دروسا ومحاضرات في المقرات التابعة لجمعية العلماء، ويحث أتباعه والمتعاطفين مع الحركة الإصلاحية على التبرع. وتذكر إحدى نشرات مصلحة الاتصالات الشمال افريقية. بأن الإبراهيمي عاد إلى تلمسان في 13 ماي بعد غياب دام عدة أسابيع قضاها في معظمها بعمالة قسنطينة. و خلال سفره هذا جمع الشيخ مبالغ مالية ضخمة مخصصة لبناء المدارس، وقبل دخوله إلى تلمسان، توقف الإبراهيمي بمدينة وهران.⁽¹⁸⁾

وعن نشاطه بهذه المدينة ، يشير أحد تقارير الشرطة الاستعمارية بان الإبراهيمي قدم حوالي الساعة السادسة والنصف مساء حديثا دينيا محضا بمقر جمعية الفلاح، استمر إلى غاية الساعة الثامنة والنصف . ويضيف نفس التقرير بأنه "بمناسبة مروره بوهرا ن يكون أعضاء جمعية الفلاح قد قدموا له مبلغ 10 آلاف (10.000) فرنك . وبهذا الصدد، فقد تم عرض قسيمات للتبرع مكتوبة باللغة العربية والفرنسية قدمها الشيخ الإبراهيمي لأمين صندوق الجمعية السيد سمغوني أحمد. وهناك قسيمات مماثلة تركها في قسنطينة، وسطيف، والجزائر العاصمة، وغلزيان وتلمسان⁽¹⁹⁾

وفي السياق ذاته، زار مدينة سيدي بلعباس في أواخر ماي 1943، وفي محاضرة ألقاها بنادي النجاح أعلن على أن الهدف من مجيئه إلى هذه المدينة هو من أجل تحقيق مشروع بناء مدرسة بسيدي بلعباس، وأن تكاليف البناء تقدر بـ 300.000 ف، مقترحا تنظيم حملة للتبرع من طرف مسلمي المدينة وعند الاقتضاء من طرف مسلمي العمالة.⁽²⁰⁾

وفي إطار نشاطه الدؤوب وتحركاته المستمرة، انتقل الشيخ " الإبراهيمي " إلى مدينة وهران في فاتح أوت، وألقى بمقر جمعية الفلاح محاضرة دينية حول الخمر، وفي اليوم الموالي وبنفس المقر تم عقد اجتماع خاص مع أعضاء جمعية الفلاح ، تمحور موضوعه حسب الشرطة الاستعمارية حول شراء السكن المجاور لمقر " جمعية الفلاح "، وقضية الدروس بالنسبة للجزائريين. ومن وهران غادر الإبراهيمي إلى قسنطينة.⁽²¹⁾ للإطلاع على نشاط العلماء هناك، وفي مناطق أخرى من الوطن، والتنسيق معهم بصفته رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ويشير أحد تقارير أجهزة الأمن الاستعمارية ، إلى أن الإبراهيمي لم يسافر إلى قسنطينة إلا بعد أن أكمل تنظيم التعليم بدار الحديث،* التي أصبح يرتادها مئات التلاميذ أطفالا وكبارا...وكانت الدروس تبدأ من الساعة الثامنة صباحا وتستمر إلى الساعة مساء... ومصاريف الدراسة تختلف حسب وضعية الأسر. أما المرتب الشهري للأساتذة فكان يتراوح (ما بين 1500 و 3500 ف...).⁽²²⁾

ولتكثيف نشاطهم بمدينة وهران، أعاد العلماء فتح المقر القديم لجمعية التربية والتعليم، الكائن بحي الحمري ، والتابع لجمعية الفلاح .كما قدم أعضاء جمعية الفلاح عروضاً من أجل التدريس لكل من الشيخ سعيد الزموشي والأخوين قباطي ، ويبدو أن هذا كان أحد الأسباب التي جعلت الشيخ سعيد الزموشي يحل بوهرا ن في 16 أكتوبر 1943، بعد أن كان قد أجبر على مغادرة مدينة معسكر في جوان 1940، وطلب منه أعضاء " جمعية الفلاح " البقاء بوهرا ن كأستاذ. كما تم تعيين عبد الحميد قباطي كمدرس بالمدينة نفسها.⁽²³⁾

وبفضل تحركاته الدؤوبة، مكن الشيخ الإبراهيمي جمعية العلماء من استعادة نشاطها الكامل بمختلف ربوع الوطن، وخاصة بالغرب الجزائري حيث أعلن في فبراير 1944 عن إنشاء 17 مدرسة جديدة بالعمالة الغربية. كما نشطت الحركة التعليمية وتوسعت؛ وعلى سبيل المثال، فإن مدرسة دار الحديث بتلمسان، أصبح يرتادها مئات التلاميذ، إذ قدر العدد في جوان 1944 بـ 1300 تلميذا، وكان يشرف على تأطيرهم أساتذة ومدرسون وطنيون، نذكر منهم بوعدنان عبد الله - مناضل قديم في حزب الشعب الجزائري.⁽²⁴⁾

تركزت الجهود بعد ذلك على إنشاء مدارس أخرى، وتنشيط التعليم، وتوفير الأموال اللازمة لذلك عن طريق عمليات التبرع عبر مختلف جهات الوطن. بالغرب الجزائري دشّن " الإبراهيمي " مدرسة عين تموشنت في مارس 1944، وعين قباطي لخضر أستاذًا بها وهو خريج جامع القرويين بفاس، وبلغ عدد التلاميذ المسجلين

بهذه المدرسة 113 تلميذا. كما شرع في تهيئة ملحقتين لمدرسة دار الحديث التي كانت مكتظة بالتلاميذ، وتم تدشين مدرسة بوسط المنصورة، ضاحية تلمسان في 23 سبتمبر 1944⁽²⁵⁾

وقد زاد الإقبال على المدارس، خاصة في تلمسان، وهران، وعين تموشنت. الأمر الذي تطلب تشكيل لجان محلية، لإنشاء مدارس جديدة في مستغانم، غليزان وغيرها من المدن الأخرى. وعلى سبيل المثال، تشكلت لجنة بالمحمدية بمبادرة من المدرس كيوار صالح، لفتح مدرسة بهذه المدينة، وبلغت التبرعات الأولى حوالي 200.000 ف. كما دشّن الإبراهيمي مدرسة الخلدونية بالشلف "Orléansville" في نوفمبر 1944. وفي مدينة تيارت تم افتتاح مدرسة عن طريق التبرعات التي قدرت بحوالي 300.000 ف، واستدعي الشيخ حيدوق محمد صالح لتنظيمها. أما في مدينة سيدي بلعباس فقد بلغت التبرعات المالية مليون فرنك، ووجهت الدعوة إلى الشيخ الهادي سنوسي، ليعمل كأستاذ بالمدرسة التي كانت على وشك الافتتاح.⁽²⁶⁾

ودائما ومن أجل تنشيط التعليم، كلف الإبراهيمي الشيخ سعيد الزموشي أستاذ بجمعية الفلاح بوهران بمهمة مفتش والقيام بجولة تفتيشية لمدارس الجمعية بالغرب الجزائري، ولاحظ خلالها بأن مدرسة باب علي بمعسكر كانت بدون أساتذة منذ اعتقال اسطانبولي مصطفى، والرحلة السرية لقايد حسين إلى جامع الزيتونة بتونس لمتابعة الدراسة هناك.⁽²⁷⁾

والظاهر أن جمعية العلماء لم تجد مشاكل مادية كبيرة في افتتاح المدارس، لكنها وجدت مشاكل في التأطير، ويلاحظ ذلك في الرسالة التي وجهها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى بعض أصدقائه بجامع الزيتونة بتونس وكانت في شكل تعليمية، يطلب فيها منهم حث الطلبة الذين هم من أصل جزائري أو المتخرجين منهم، على العودة إلى الجزائر، وأن جمعية العلماء ستوظفهم فورا في مدارسها الجديدة. كما أن مدرسة لتكوين أساتذة ومدرسي جمعية العلماء، كانت على وشك الافتتاح بالجزائر العاصمة.

وبالإضافة إلى المدارس، فقد تشكلت جمعيات دينية نذكر منها، الجمعية الدينية الإسلامية بفرندة في ضواحي تيارت. كما أن الجمعية الدينية بتلمسان اشترت بناية جديدة بمبلغ 1.500.000 ف، تمت تغطيته بسرعة بفضل التبرعات. وفي سيق تأسست جمعية التربية والتعليم في مارس 1944⁽²⁸⁾ وهكذا مكن البشير الإبراهيمي بجمعية قادة الحركة الإصلاحية وعناصرها النشطة بالقطاع الوهراني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من استئناف نشاطها الإصلاحي والتعليمي بقوة منذ بداية 1943، رغم ظروف الحرب الصعبة ورقابة الإدارة الاستعمارية المستمرة.

مساندة البيان الجزائري وحركة أحباب البيان والحرية:

إن انضمام ومساندة جمعية العلماء للبيان الجزائري أضفت عليه البعد الوطني؛ من خلال شعارها المعروف "الإسلام ديننا، الجزائر وطننا والعربية لغتنا"، فمناصرة البيان والدفاع عنه هي مناصرة الهوية الوطنية والدفاع عنها، وبذلك ستجعله يحظى بالتأييد الجماهيري الواسع، ملتقية في ذلك مع حزب الشعب الجزائري.

فمساندة العلماء بالقطاع الوهراني إلى البيان الجزائري كانت قوية، ويلاحظ ذلك في عدة مظاهر منها: استنكارهم للإجراءات التي اتخذت ضد كل من فرحات عباس و سايج عبد القادر في سبتمبر 1943، وتحركهم من أجل إطلاق سراحهما. كما أن الإبراهيمي أثناء تنقلاته العديدة إلى القطاع القسنطيني ومروره بالجزائر العاصمة، كان يتصل بالأعيان المسلمين، وبالشخصيات السياسية، وبالعلماء المصلحين بهذه المدينة، وبالشركاء الجزائريين. وعلى رأسهم "فرحات عباس".⁽²⁹⁾ زعيم البيان، ولاشك في أنه كان هناك تنسيق وتساور بخصوص مطالب البيان.

وفي المذكرة التي قدمها الشيخ الإبراهيمي للجنة الإصلاحات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، التي تشكلت بعد خطاب ديغول في ديسمبر 1943، ففضلا عن مطالبته بإجراء إصلاحات بخصوص القضاء الإسلامي، التعليم العربي الحر، المساجد وموظفيها والأوقاف. أكد على ضرورة القيام بإصلاحات سياسية، وكانت مؤيدة لمطالب البيان.⁽³⁰⁾

كما عارضت جمعية العلماء خطاب " ديغول " بقسنطينة ، وأمريّة 7 مارس 1944، وساندت حركة أحباب البيان منذ البداية، وساهم العلماء بقسط وافر في الدعاية لهذه الحركة ، وركزوا على الجانب الديني في تعبئة الجماهير ، كما كان الإبراهيمي يستقبل فرحات عباس بمدينة تلمسان و يرافقه أحيانا في جولاته التحسيسية عبر مدن الغرب الجزائري؛ مثل تلك الزيارة التي قام بها فرحات عباس ما بين 16 و20 مارس 1944 للدعاية لحركة أحباب البيان ؛ زار برفقته مدينة عين تموشنت ، مدينة سيدي بلعباس، ثم مدينة غليزان.³¹

ومن البديهي أن يكون الرجلان قد تحدثا عن الخطوات الواجب اتباعها في المستقبل بخصوص المسألة الوطنية، وعن ضرورة تكثيف الجهود، والتنسيق فيما بينهما لتحقيق مطالب الجزائريين. وحسب نشرية مركز الاستعلام والدراسات، فإن عباس كان يريد اصطحاب الإبراهيمي معه إلى قصر الشلالة، لمقابلة مصالي الحاج في إقامته الجبرية، والتشاور معا في مستقبل الجزائر، غير أن التقاء قادة التيار الوطني بهذا الشكل أثار مخاوف الإدارة الاستعمارية وقلقها ، كيف لا وهي صاحبة الشعار فرق تسد ، فأرغمت البشير الإبراهيمي على العودة إلى تلمسان.⁽³²⁾

كما ساهمت جمعية العلماء إلى جانب حزب الشعب الجزائري في تشكيل وتأييد لجان وفروع حركة أحباب البيان منذ بداية تشكيلها في أوائل 1945، وأصبحت هذه الفروع، مركزا للتكوين السياسي، وللدعاية الوطنية من خلال الاجتماعات التي كانت تعقدها، بالإضافة إلى المؤتمرات الجهوية والوطنية.³³

ودعاية العلماء لأحباب البيان والترويج لفكرة الاستقلال لم تنقطع، ويلاحظ ذلك على سبيل المثال فيما صرح به الإبراهيمي بمدينة تلمسان في مارس 1945: " بأن استقلال الجزائر قد طلب من روزفلت ، وأنه سيتم خلال مؤتمر سان فرانسيسكو". وكان لهذا التصريح دور كبير في زيادة الإقبال على الانخراط في حركة أحباب البيان، وتشكيل الفروع؛ إذ انتقل عدد هذه الأخيرة بالعمالة الغربية من 25 فرعا في فبراير 1945، إلى 56 فرعا في أبريل من السنة نفسها. أي أن نسبة الزيادة كانت أكثر من 100%.⁽³⁴⁾ ولا ننسى الدعاية التي كان يقوم بها فرحات عباس ومناصره في هذا المجال ، وخاصة مناضلو حزب الشعب الجزائري الذين انخرطوا بقوة في حركة أحباب البيان وعملوا على ترسيخ برنامجهم الاستقلالي من خلالها.

ولا بد من الإشارة في الأخير إلى أن مساندة البشير الإبراهيمي والحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري كانت قوية للكشافة الإسلامية الجزائرية ، ويلاحظ ذلك في المخيم الفيدرالي الكشفي الذي انعقد في أواخر جويلية 1944 بمكان الحجل الصغير بغابة الصنوبر على هضبة لالة ستي قرب تلمسان³⁵ ، والذي زاره عباس برفقة الإبراهيمي. ولقد استغلت الأوساط الإصلاحية هذا التجمع الكشفي الهام في استقطاب الشبيبة الجزائرية، وتدعيم توجهاتها الوطنية.

ونظرا للأهمية التي كان يعطيها العلماء للكشافة، فقد استقبلوهم بحفاوة. وحسب أحد تقارير أجهزة الأمن الاستعمارية، فإن الشيخ البشير الإبراهيمي قضى ليلة كاملة بين الأوساط الكشفية في المخيم، ولاشك انه قد استغل هذه الفرصة في إرشادهم وتوجيههم ودعوتهم لزيارة المدينة.⁽³⁶⁾

وفعلا نزل الكشافة إلى مدينة تلمسان، بعد أن تركوا حراسة المخيم للتلمسانيين، ونظموا استعراضا رائعاً بالشوارع الرئيسية بالمدينة: شارع سيدي بلعباس، والمشور، وشارع فرنسا، مرددين أناشيد وطنية متنوعة. ولم يتفرقوا إلا أمام دار الحديث...، حيث أدى حوالي 160 منهم صلاة الجمعة⁽³⁷⁾. وأثر هذا كله في الجماهير المتحمسة التي تجاوزت بشكل قوي مع الحدث، ولم تبخل بتشجيعاتها ومساعدتها لأبناء وطنها، رجال الغد وآمال المستقبل.

وبعد رفع المخيم في 31 جويلية، ألقى الشيخ البشير الإبراهيمي في المساء درساً بدار الحديث على مسامع الكشافة، حضره حوالي 300 شخص، حثهم فيه على التحلي باكتساب صفات الرجولة والشجاعة... وبعد انتهاء الدرس، وقبل مغادرتهم مدينة تلمسان، نزل الكشافة ضيوفاً على المصلحين. كما أن الإبراهيمي كان في توديعهم بمحطة القطار.⁽³⁸⁾

إن اهتمام العلماء وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي بالعناصر الكشفية، وتجاوب هذه الأخيرة معهم، لم يخف على الإدارة الاستعمارية، حيث ذكرت نشرية مركز الاستعلام والدراسات، بأن عرّض عدة صور بالمخيم للشيخ ابن باديس؛ صلاة الجمعة للكشافة بمدرسة دار الحديث، والاستقبال الحار الذي خصصته لهم الأوساط الإصلاحية بتلمسان، يسجل إلى أي مدى وصل إليه تأثير حركة العلماء على الشبيبة الإسلامية، والدعم الكبير الذي تستطيع إيجاده عندها⁽³⁹⁾.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم نلاحظ بأن الإدارة الاستعمارية قامت بنفي الشيخ البشير الإبراهيمي إلى مدينة آفلو بعد بأسها من جلبيه إلى تأييدها في الحرب. كما شنت حملة من القمع والمضايقات والضغطات على قادة الجمعية وعناصرها النشطة بالغرب الجزائري خاصة في أواخر عهد الجمهورية الثالثة وفي عهد حكومة فيشي مستهدفة شل نشاط الجمعية. غير أن هذا النشاط لم يتوقف بل استمر بشكل متقطع، متكيفاً مع ظروف الحرب الصعبة، ومع السياسة القمعية للإدارة الاستعمارية، وبالتواصل والتنسيق سرياً مع الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كلفه المجلس الإداري للجمعية بالرئاسة في ماي 1940.

بعد إطلاق سراح الشيخ البشير الإبراهيمي، استأنف مهمته الاصلاحية والوطنية بجمعية العلماء المصلحين منذ بداية 1943، وبفضل تحركاته الدؤوبة وتنقلاته المستمرة مكن جمعية العلماء من استعادة نشاطها الكامل بمختلف ربوع الوطن، وخاصة بالغرب الجزائري، إذ استأنفت فروع الجمعية نشاطها علانية وعملياً؛ وذلك بجمع التبرعات المالية، وتأسيس المدارس، وإنشاء الجمعيات الدينية، وتوسيع الحركة التعليمية...، وكذلك المشاركة الفعلية في الدعاية الوطنية في صالح محتوى وثيقة البيان الجزائري وحركة أحباب البيان والحرية، والتي كانت الجمعية أحد أطرافها الأساسية. فضلاً عن تشجيع الحركة الكشفية التي كانت أحد الروافد الأساسية للحركة الوطنية الجزائرية وتدعيم توجهاتها الوطنية، ومن مظاهر ذلك التشجيع، مساعدتها في إنجاح المخيم الفيديرالي الكشفي الذي انعقد بتلمسان في صيف 1944.

الهوامش:

¹) - Ch. R. Ageron, *histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération (1954)*, Tome II (Paris : P.U.F, 1979), P. 579

² ابتعد الشيخ الطيب العقبي عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واستمر في نشاطه حيث أسس جمعية دينية " جمعية الإصلاح الإسلامى " وجعل لسان حالها جريدته القديمة "الإصلاح." حول شخصية الشيخ الطيب العقبي، ودوره في الحركة الإصلاحية قبل سنة 1938 وبعدها وموقفه من الحرب. طالع : عبد الكريم أبو صفصاف، بصمات الرجال في سجلات التاريخ، مجلة سيرتا، عدد 2، (قسنطينة : مطبعة البعث، نوفمبر 1979)ص:72 – 90 .

* تأسست " جمعية الفلاح الوهرانية " كجمعية تهذيبية في مارس 1937. بإيعاز من الشيخ البشير الإبراهيمي. اتخذت مقرا لها بناية بشارع " إميل دولور " Emile Delord، رقم 24، ومن الأهداف المعلنة عند تأسيسها « المساعدة على نشر اللغة العربية...، بإعطاء دروس لأبناء المنخرطين فيها، وتنظيم محاضرات». ترأس مجلسها الإداري " حاج الشيخ أحمد " – موظف بجريدة " وهران الصباح " -Oran Matin- حتى أوائل سنة 1939، حيث خلفه قوديج بلرزق - تاجر- ومنذ أوائل سنة 1940، تولى رئاسة المجلس " سعد الهاشمي " الملقب بـ " سي علي "، رئيس الجمعية الخيرية دار المساكين، ويعتبر من أهم العناصر النشطة في الجمعية مع " زور الميلود " الذي كان يقوم بتنقلات مستمرة عبر مدن العمالة الغربية، ويتصل بالمصلحين خاصة تلمسان ومعسكر حيث كان يتصل بالمصلحين هناك. ومنذ تأسيسها، وحتى أوائل سنة 1940، قامت جمعية الفلاح، بنشاطات كثيفة ومتنوعة، خاصة في الميدان الثقافي والديني، كما عملت على نشر جريدة المغرب العربي لفترة من الوقت. وباندلاع الحرب العالمية الثانية، ضيقت الإدارة الاستعمارية الخناق على أعضائها مستهدفة المسيرين والنشيطين منهم، إذ اعتقلت أغلبهم في أوائل سنة 1940 وأرسلتهم إلى معتقل " جنين بورزق "، وبذلك تقلص نشاطها، R. A.W.O. boîte 4481، 1942. 5.5.1942. du 5.5.1942. ليستأنف من جديد بعد إطلاق سراح الشيخ البشير الإبراهيمي في أواخر ديسمبر 1942.

³ - C.I.E. (Oran), janvier 1940.

⁴ - C.I.E. (Oran), fevrier , mars 1940.

⁵ ، مصطفى أوعامري ، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الحرب العالمية الثانية: 1939-1945، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة وهران، ماي 2001، ص 49 .

⁶ نفسه، ص. 55.

⁷ - C.I.E. (Oran), mai 1940.

⁸ مصطفى أوعامري ، المرجع السابق، ص. ص: 76-77

⁹ نفسه، ص. 77.

¹⁰ - C.I.E. (Oran), juillet 1941.

¹¹ مصطفى أوعامري ، المرجع السابق، ص . 80

¹² A.W.O. boîte 4477, R.du24.4. 1942 , C.I.E. (Oran) juillet 1942

* حول هذه النقطة طالع :

Christine Levisse Touzé, La politique de Weygand en Afrique du nord, octobre 19-novembre 1941, in Parcours, N° 16 - 17, 1992, PP. 26-40.

¹³ Ch.- R. Ageron, *Histoire de l'Algérie contemporaine...* op. cit. , P.554.

¹⁴ C.I.E. (Oran), septembre 1941.

¹⁵ من بين ما قاله الإبراهيمي لزمته: من الممكن أن الجو الذي أعيش فيه بأقلو، وبما أنني في المنفى، يجعلني لا أستطيع الحكم جيدا على الأشياء...، ومع ذلك، فإنني أخشى بأنكم تنخدعون بأمال وهمية. مصطفى أوعامري، المرجع السابق ، ص. 79

¹⁶ نفسه، ص. 133.

¹⁷ A.W.O. boîte 4477, R.du15.3. 1943 .

¹⁸ C.I.E. (Oran), mai 1943.

¹⁹ كانت القسيمات المقدمة بجمعية الفلاح وفق النموذج التالي :

جمعية الفلاح الوهرانية " Djemiet El Falah Oranaise "

القوة في الاتحاد " L'union fait la force "

إعانة قدرها نصف فرنك " Aide de 0 F 50 "

²⁰ A.W.O. boîte 4477, R.du29.5 1943 .

²¹ مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص. 135-136

* بنيت دار الحديث بتشجيع من الشيخ البشير الإبراهيمي الذي استحدث " أهل تلمسان " على بناء معهد لنشر الثقافة العربية الإسلامية، وتكلف بنائها نصف مليون فرنك، افتتحت رسميا في 28 سبتمبر 1937. أصبحت مدرسة دار الحديث مركز إشعاع فكري وثقافي وديني بل وحتى سياسي للجزائريين بمختلف أعمارهم وجنسهم، في تلمسان وفي الناحية الغربية من الوطن. أغلقت أثناء الحرب العالمية الثانية مع نفي الشيخ البشير الإبراهيمي بقرار من الإدارة الاستعمارية. قطنها الجيش الأمريكي لمدة من الوقت (قاعة المحاضرات بالطابق الأول وحجرات الطابق الثاني)، ولم تستأنف نشاطها وبشكل قوي إلا في أوائل سنة 1943 بعد إطلاق سراح الشيخ الإبراهيمي. محمد بن عمرو الطمار، **تلمسان عبر العصور : دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1984)، ص. 263.

-A.W.O. boîte 4477, R. du 6.5 1943

²² مصطفى أوعامري المرجع السابق، ص.136

²³ نفسه، ص. 137

²⁴ نفسه، ص.138

²⁵ نفسه، ص. 167، 169

²⁶ نفسه، ص : 169-170

²⁷) A.W.O. boîte 4477, R. du 16.10. 1944

²⁸ مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص. 170

²⁹) - C.I.E. (Oran), février 1944

³⁰ -) للإطلاع على تصريح الإبراهيمي للجنة الإصلاحات والمذكرة التي قدمها لها. ينظر :

- Claude Collot et Jean-Robert Henry, **Le mouvement national algérien, textes 1912-1954**, 2 édition. (Alger: O.P.U.

1981). PP. 177 – 183.

³¹ مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص.157

³² مصطفى أوعامري، **نشاط فرحات عباس بتلمسان: 1943-1945**، **مجلة أفكار وأفاق**، جامعة الجزائر 2، العدد 3، (جانفي – جوان) 2012 ص ص. 140-141

³³ طالع القانون الأساسي للحركة في :

- **Les amis du manifeste et de la liberté, textes fondamentaux, 1943-1945**, publication de la

direction des archives de la Wilaya de Constantine, N° 12 Novembre, 1983, , PP. 28 – 30.

³⁴ أدلى الشيخ الإبراهيمي، بمضمون هذا التصريح أثناء عودته إلى تلمسان لنقل أثاره إلى الجزائر العاصمة، وقد غادر مدينة تلمسان

في 3 أبريل 1945 ليستقر بالعاصمة: مصطفى أوعامري، **الحركة الوطنية الجزائرية....** المرجع السابق، ص.171

³⁵ انعقد هذا المخيم الكشفي الأول من نوعه على المستوى الوطني ما بين 23 و30 جويلية 1944 . كانت الكشافة الإسلامية الجزائرية متجاوبة مع التيار الوطني. ظهر الوجه الحقيقي لهذه الحركة كمدرسة للوطنية وقناه فعالة في النضال في مظاهرات ماي 1945، إذ تقدمت عناصرها مواكب المتظاهرين عبر مختلف المدن الجزائرية مرددين كالعادة أناشيد وطنية ، رافعين رفة المتظاهرين الأعلام الجزائرية ولافتات تطالب بالحرية والمساواة ، باستقلال الجزائر وبإطلاق سراح المعتقلين.... مصطفى أوعامري، **أضواء على النشاط الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية بعمالة وهران: 1939-1945** ، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 128، تونس، جوان، 2007، ص.104

³⁶) A.W.O. boîte 4063, R. du 3.8. 1944.

³⁷) A.W.O. boîte 4063, Ibid.

من بين هذه الأناشيد، التي تم ترديدها لأول مرة : " من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال "، وهو النشيد الذي ظل يتردد صدها عبر جبال الجزائر الشاهقة طيلة الثورة المباركة. مصطفى أوعامري، **أضواء على النشاط الوطني للكشافة الإسلامية** ، المرجع السابق

ص.104

³⁸ مصطفى أوعامري، الحركة الوطنية ...، المرجع السابق، ص.166

³⁹) C.I.E. (Oran), juillet 1944